

طَلَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلًا.. فلم أجد!

(Arabic – I looked for a man among them. but I found NONE!)

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضوعُهُ: طَلَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلًا.. فلم أجد!

ومن سفر حزقيال الأصحاح الثاني والعشرين تقرأ العدد الثلاثين:

"وطلبتُ من بينهم رجلاً. يبني جداراً ويقف في الثغر أمامي عن الأرض لكيلا أخربها. فلم أجد".^١

إن الله يطلب رجلاً. فهل أنا الرجل المطلوب؟. ولم لا؟. وهل أنت أخي؟ ولم لا؟. قد تقول: ولكن من أنا حتى أكون الرجل المطلوب من الرب؟. الإجابة: إن الذي لا يحسب نفسه شيئاً ويرجو أن يكون جديراً باتمام إرادة الله. هو الرجل المطلوب. وبتعبير آخر: كل من يأتي إلى الرب متواضعاً أمام جلاله. هو الرجل الذي يطلبه الرب ليبنى الجدار ويقف في الثغر أمامه عن الأرض لكيلا يخربها لشرها. بل ليباركها ويحسن إليها. لأول وهلة تظن أنه ميسور وأن معظم الرجال مؤهلون. ولكن الأمر يتطلب صفات معينة نادرة أولها إنكار الذات والتضحية.^٢

إن ما طلبه الرب من حزقيال النبي سبق وشارك به إشعياء النبي. ولتقرأ اختبار إشعياء النبي الذي ذكره في سفره الأصحاح السادس: "في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسي عال ومرتفع وأذباله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه لكل واحد سية أجنحة. باثنين يعطى وجهه وباتنين يعطى رجله وباتنين يطير. وهذا نادى ذلك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض. فاهترت أساسات العنب من صوت الصارخ وامتأ البيت دحانا". عرف إشعياء وقتئذ أنه لم يكن الرجل الكفاء ليتواجد في محضر رب الجنود فقال: "ويل لي إني قد هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود". رأى إشعياء أنه ليس لائقاً ليتواجد في محضر الإله العلي القدوس.^٣

لقد كانت رؤية إشعياء لحقيقة نفسه صادقة كل الصدق. وهذه الرؤية هي التي يرتضيها الرب في الرجل المطلوب ليبنى الجدار ويقف في الثغر أمامه وهي الاعتراف بالحقيقة وهي أن كلا منا "نجس الشفتين ساكن بين شعب نجس الشفتين". وحين نرى أنفسنا كإشعياء النبي أننا غير مؤهلين وأن برنا الذاتي وجهودنا لتبرير ذواتنا في محضره لا تحسب شيئاً ولا تؤهلنا لشيء. يقوم الرب بنفسه ليقدمنا ويؤهلنا للعمل العظيم الذي يمجّد اسمه.^٤

هذا ما حدث مع إشعياء. فهو يقول في اختباره: "فطار إلي واحد من السرافيم وبيده جمره قد أخذها بملقط من على المدبح ومس بها فمي وقال: "إن هذه قد مست شفتيك فانترع إثمك وكفر عن خطيتك". ثم سمعت صوت السيد قائلاً: "من أرسل ومن يذهب من أجلنا؟". فقلت: "هاذا أرسلني". لقد أجرى الرب في إشعياء تغييراً عجيباً فأصبح الرجل المطلوب. ولم لا؟. "لقد انترع إثمك وكفر عن خطيتك فأصبح مؤهلاً لخدمته القدير".^٥

فلنأت نحن إلى الإله القدير بشفاهنا النجسة. متواضعين منكسرين مُعترفين بعدم أهليتنا وعدم صلاحيتنا. سنبتزعج إثمنا ويكفر عن خطايانا. أوليس دم ابن الله المسفوك من أجلنا على الصليب كفيلاً بذلك؟. إن الأمر يتوقف على إيماننا بقوة فاعليته دم ابن الله وتصديقنا لأقوال الرب وثقتنا في وعده لنا. إن أمنا ووضعنا ثقتنا في شخصه المبارك صرنا الرجال الجديرين بثقة الرب فينا. لقد جاء بإنجيل لوقا الأصحاح الأول أن القديسة العذراء مريم

^١ سفر حزقيال ٢٢ : ٣٠ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ رسالة يعقوب ٤ : ٦

^٣ سفر إشعياء ٦ : ١ - ٥

^٤ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى تسالونيكي ٥ : ٢٣

^٥ سفر إشعياء ٦ : ٦ - ٨

حينَ دَخَلتْ بَيْتَ زَكَرِيَّا وَسَلَمتْ عَلَى أَلْيَصَابَاتٍ. قَالَتْ أَلْيَصَابَاتُ لِلْقَدِيسَةِ العَذْرَاءِ: "طَوَّبِي لِلَّتِي آمَدتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ". قَالَتْ مَرِيَمُ: "تَعَظُمَ نَفْسِي الرَّبِّ وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخْلِصِي لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أُمَّتِي".^١

لَقَدْ قَالَ آسَا الْمَلِكُ فِي العَهْدِ القَدِيمِ: "لَأَدُنَّا قَدْ طَلَبْنَا الرَّبَّ إِلَهَنَا. طَلَبْنَاهُ فَأَرَاخَنَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ". كَانَ آسَا الرَّجُلَ المَطْلُوبَ فِي عَهْدِهِ. مَكْتُوبٌ عَنْهُ: "وَعَمِلَ آسَا مَا هُوَ صَالِحٌ وَمُسْتَقِيمٌ فِي عَيْبِ الرَّبِّ إِلَهِهِ". قَالَ آسَا لِيَهُودَا أَنْ يَطْلُبُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمْ وَأَنْ يَعْمَلُوا حَسَبَ الشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ وَنَزَعَ مِنْ كُلِّ مَدَنَ يَهُودَا المُرْتَفَعَاتِ وَتَمَاتِيلَ الشَّمْسِ. وَاسْتَرَاخَتْ المَمْلَكَةُ أَمَامَهُ لِأَنَّ الرَّبَّ أَرَاخَهُ. إِنْ فَعَلْنَا كَأَسَا كُنَّا الرَّجَالَ المَطْلُوبِينَ مِنَ الرَّبِّ. وَلَكِنْ إِنْ لَمْ نَفْعَلْ أَضَعْنَا أَنْفُسَنَا وَأَوْلَادَنَا وَأَضَعْنَا أَجْيَالًا قَادِمَةً. إِنْ فَعَلْنَا كَأَسَا سَنَقِذُ نَفُوسًا مِنْ قَبْضَةِ إِبْلِيسِ. نَفُوسًا اقْتَنَصَهَا بِخِدَاعِهِ فَصَارَتْ طُوعَ أَمْرِهِ. وَإِنْ لَمْ نَفْتَقِدْهَا الْآنَ سَتُوجِهُ مُصِيرُهَا فِي النَّارِ الأَبَدِيَّةِ. المُعَدَّةُ لِإِبْلِيسَ وَمَلَائِكَتِهِ.^٢

إِنْ حَزَقِيَالِ النَّبِيُّ بِالأَصْحَاحِ الثَّانِي والعِشْرِينَ مِنْ سِيفِرِهِ يَصِفُ الشَّعْبَ الَّذِي تَمَرَّدَ عَلَى اللَّهِ وَانْحَرَفَ بَعِيدًا عَنْهُ. أَنْ أَنبِيَاءَهُمْ سَعَوْا وَرَاءَ الشَّهْرَةِ وَالمَالِ. كَانُوا يَخْدَعُونَ الشَّعْبَ بِمَمْلَكَةِ يَهُودَا بِقَوْلِهِمْ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ. وَالرَّبُّ لَمْ يَقُلْ. أَمَّا الكَهَنَةُ فَقَدْ خَالَفُوا الشَّرِيعَةَ. وَلَمْ يُمَيِّزُوا بَيْنَ مَا يَحِلُّ وَمَا لَا يَحِلُّ. وَرُؤُوسَاؤُهُمْ يَصِفُهُمُ الوَحْيُ الإِلَهِيُّ بِأَنَّهُمْ كَذَّابٌ خَاطِفٌ. سَرِيعَةٌ لِسَفْكَ الدَّمَاءِ وَإِهْلَاكِ النَّفُوسِ. وَسَائِرُ الشَّعْبِ ظَلَمُوا ظَلْمًا وَغَضَبُوا غَضَبًا وَاضْطَهَدُوا الفَقِيرَ وَالمِسْكِينَ. إِنَّمَا صُورَةٌ كَثِيرَةٌ مُؤَسِفةٌ مُحزنةٌ. لِذَلِكَ قَالَ الرَّبُّ لِحَزَقِيَالِ النَّبِيِّ عَنْهُمْ: "طَلَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلًا فَلَمْ أَجِدْ". كَانَ الرَّبُّ يَنْتَظِرُ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَأْتِي إِلَيْهِ مُتَضِعًا مُنْكَسِرًا مُعْتَرِفًا بِنَجَاسَتِهِ وَنَجَاسَةِ الشَّعْبِ.^٣

كَانَ الرَّبُّ يَنْتَظِرُ رَجُلًا يَقُولُ مَا قَالَهُ إِشْعِيَاءُ بَعْدَ أَنْ مَسَّتْ شِفْتَيْهِ جَمْرَةٌ التَّقَطَّتْ مِنْ عَلَى المَدْبَحِ فَانْتَزَعَ إِثْمَهُ وَكَفَّرَ عَنْ خَطِيئَتِهِ: "هَآنَذَا يَا رَبُّ أُرْسِلْنِي". رَجُلًا مُخْلِصًا مِنْ بَيْنِهِمْ يَبْنِي جِدَارًا. أَيْ يَأْتِي بِأَخْرِينَ وَيَقِفُ الجَمِيعَ صَفًّا وَاحِدًا طَالِبِينَ الرَّبَّ مِنْ أَجْلِ الشَّعْبِ الغَارِقِ فِي لَجَّةِ الإِثْمِ. يَا لِلْأَسَفِ. إِنْ الرَّبُّ يَقُولُ عَنْ ذَلِكَ الشَّعْبِ العَبِيدِ المُنْحَرَجِ القَلْبِ: "طَلَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلًا يَبْنِي الجِدَارَ وَيَقِفُ فِي الثَّغْرِ أَمَامِي عَنِ الأَرْضِ لِكَيْلَا أُخْرِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ". إِنْ اللَّهُ لَا يُعْذِمُ وَسِيلَةً لِيَأْتِيَ بِالرَّجُلِ المَطْلُوبِ. لَقَدْ أُوْجِدَهُ فِي عَهْدِ عَالِي الكَاهِنِ فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ القَضَاةِ. لَقَدْ سَجَلَ الوَحْيُ عَنْ ذَلِكَ العَصْرِ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ عَمِلَ مَا حَسَنَ فِي عَيْبِهِ. وَسَلَكَ عَالِي الكَاهِنِ هُوَ وَوَلَدِيهِ مَسْلَكًا مُشِينًا. فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى اللَّهِ عَالِيًا لِيَقُولَ لَهُ: "وَالآنَ يَقُولُ الرَّبُّ حَاشَا لِي فَإِنِّي أَكْرَمُ الَّذِينَ يُكْرِمُونَنِي وَالَّذِينَ يَحْتَقِرُونَنِي يَصْغُرُونَ. هُوَذَا تَأْتِي أَيَّامٌ أَقْطَعُ فِيهَا ذِرَاعَكَ وَذِرَاعَ بَيْتِ أَبِيكَ حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْخٌ فِي بَيْتِكَ كُلِّ الأَيَّامِ".^٤

لَقَدْ نَشَأَ صَمُوئِيلُ الصَّبِيُّ الصَّغِيرُ فِي الهَيْكَلِ مَعَ عَالِي الكَاهِنِ. وَأَحَبَّ الرَّبُّ صَمُوئِيلَ الصَّغِيرُ الَّذِي نَشَأَ يَخَافُ اللَّهَ. وَكَلَّمَ الرَّبُّ صَمُوئِيلَ وَتَغَاضَى عَنْ عَالِي الكَاهِنِ. وَأَنْذَرَ الرَّبُّ عَالِي الكَاهِنَ عَنْ طَرِيقِ صَمُوئِيلِ الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ. وَعَرَفَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ قَدْ أُوتِيَ صَمُوئِيلُ نَبِيًّا لِلرَّبِّ. كَبُرَ صَمُوئِيلُ وَكَانَ الرَّجُلَ المَطْلُوبَ. فَقَدْ جَمَعَ الشَّعْبُ إِلَى المَصْفَاةِ لِيُصَلِّيَ إِلَى الرَّبِّ مِنْ أَجْلِهِمْ. وَصَامُوا فِي ذَلِكَ اليَوْمِ وَقَالُوا قَدْ أَخْطَأْنَا إِلَى الرَّبِّ. فَاسْتَجَابَ الرَّبُّ. لَقَدْ بَنَى صَمُوئِيلُ جِدَارًا وَوَقَفَ فِي الثَّغْرِ عَنِ الشَّعْبِ كَمَا أَخْطَأُوا. قَالَ صَمُوئِيلُ أَمَامَ الشَّعْبِ الَّذِي طَلَبَهُ لِيُصَلِّيَ مِنْ أَجْلِهِ هَذَا القَوْلَ المَأْتُورَ عَنْهُ: "وَأَمَّا أَنَا فَحَاشَا لِي أَنْ أَخْطِي إِلَى الرَّبِّ فَأَكْفَ عَنْ الصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِكُمْ.. بَلْ أَعْلِمُكُمْ الطَّرِيقَ الصَّالِحَ المُسْتَقِيمَ". إِنْ اللَّهُ لَا يُعْذِمُ وَسِيلَةً لِيَأْتِيَ بِالرَّجُلِ الَّذِي يَبْنِي الجِدَارَ وَيَقِفُ فِي الثَّغْرِ وَيَطْلُبُ صَفْحًا وَغُفْرَانًا مِنْ أَجْلِ شَعْبِهِ وَأَرْضِيهِ. إِنْ اللَّهُ حَسَبَ رَحْمَتِهِ الكَثِيرَةِ لَمْ يُعْذِمُ وَسِيلَةً لِخِلَاصِ الجِنْسِ البَشَرِيِّ. فَقَدْ أُرْسِلَ الأَبْنَى الوَحِيدَ لِيَقِفَ فِي الثَّغْرِ أَمَامَهُ "لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونَ لَهُ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ".^٥

أَدْعُوكَ أَحَى لِتَرْفَعَ قَلْبَكَ مُشْتَرِكًا مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ. أَتَى إِلَيْكَ مُتَضِعًا مُنْكَسِرًا مُعْتَرِفًا بِأَنْتَنِي غَيْرَ مُسْتَحِقٍّ. وَلِكُنْتِي وَآتَقْتُ فِي الدَّمِ الطَّاهِرِ المَسْفُوكِ عَنِّي. أَسْأَلُكَ غُفْرَانًا وَتَطْهِيرًا. اسْتَخْدِمْنِي لِجَدِّكَ. هَآنَذَا إِرْسِلْنِي. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ البَارِ وَآتَقًا مِنْ اسْتِجَابَتِكَ إِلَهِي يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَى لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَحَى القَارِئُ العَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل لوقا ١: ٣٩ - ٤٨

^٢ سفر أخبار الأيام الثاني ١٤: ٢ - ٧

^٣ سفر حزقيال ٢٢: ٢٣ - ٣١

^٤ سفر القضاة ١٧: ٦

، إنجيل متى ٢٥: ٤١

، سفر صموئيل الأول ٢: ٣٠ - ٣١

، إنجيل يوحنا ٣: ١٦

^٥ سفر صموئيل الأول ٣: ٢٠ & ٧: ٥ - ٩ & ١٢: ٢٣